سفيريس : الشاعر اليوناني المعاصر

بقلم نقولا يوسف

في عام ١٩٤١ ظهر كتاب للقصاص الرحالة « هنري ميلر » سماه « تمثال ماروسي » يتضمن مشاهداته وذكرياته عن رحلة له ببلاد اليونان ، استغرقت بضعة أشهر من سني الحرب العالمية الثانية .. ونزل خلال تجوله ببلدة « ألفسيس » ـ الخالدة وسط عالم فان ـ وهناك التقى بالشاعر اليوناني « سفيريس » وأمضيا معا بضعة أيام .. ولما عاد ميلر الى وطنه ، وسجل انطباعاته في هذا الكتاب ، أفرد به مقالة عن الشاعر وتنبأ له بمجد أدبي ـ فلسوف يوقد جذوة الروح الخالدة في بلده (١) .

وكان سفيريس أو « جورج سفيريادس » يومذاك في الاربعين تطغى وظيفته الدبلوماسية على شهرته الادبية التي كانت محصورة في دائرة مواطنيه من قراء لغته ، وأصدقائه من قراء القليل المترجم عنها .. بينما استأثر سابقوه من الشعراء اليونانيين المحدثين ـ بالاماس ، وسكيليانوس ، وسولوموس ، وكزانتراكيس ، وبوتيميس ، وكفافي السكندري .. وغيرهم ، باهتمام النقاد وتراجمهم من دونه ..

فكانت كلمة هنري ميلر المنشورة منذ ربع قرن ، تعريفا تاريخيا باكرا بهذا الشاعر المعاصر الكبير ، ولهذا تستحق الذكر ، وفيها يقول :

« ان الرجل الذي تقمصته روح الخلود الشائعة في كل مكان باليونان ، واتني جسمها في أشعاره ، هو جورج سفيريادس ، واسمه القلمي سفيريس ، والذي لم أعرف فلمه الا مترجما ، ولكني حتى لو لم أكن قرأت شعره لقلت : هذا هو الرجل الذي قدر له أن يوقد الشعلة .

« وسفيريس أسيوي أكثر من أي يوناني قابلته . فهو أصلا من أزمير وعاش في الخارج عدة سنين . وهو رجل فتور لطيف المعشر ، ذو حيوية وكفاية ومهارة . وهو الوسيط الموفق بين المدارس الفكرية المتنازعة ، وأساليب الحياة المتصارعة . وتراه يلقي عليه أسئلة لا عد لها في لغات شتى ـ مهتما بكافة ألوان التعبير الثقافي ، ساعيا الى استخلاص وتمثيل كل أصيل مثمر في جميع الازمنة ، متحمسا لوطنه وأمته ـ لا عن تعصب وضيق عقل ، بل عن اكتشاف صبور لبلده بعد غيبة طويلة خارجه . وهذا التعلق الشديد بالوطن خاصية يمتاز بها اليوناني المثقف الذي عاش غائبا عنه . ومع ما كنت أجد في هذا الشعور لدى شعوب أخرى ما ينفر ، رأيته في الشعب اليوناني مبررا بل ملهما وأخاذا ..

« وأذكر انني كنت أسير مع سفيريس ذات أصيل لنلقي نظرة على قطعة أرض رأى أن يشيد عليها كوخا ، ولم يكن ثمة ما يلفت النظر في تلك البقعة ، وكانت فيما خيل الي قطعة رثة مهملة ، أو لعلها بدت لعيني كذلك لدى النظرة الاولى ، فلم تتح لي فرصة للحكم في انطباعة أولى عابرة ـ ولكنها تبدلت تماما أمام عيني حين كان يقودني هناك من مكان الى مكان مثل سمكة هلامية مكهربة ، وهو يتحدث حديثا متقطعا عن الاعشاب والازهار والشجيرات والصخور والطين ، وعن المنحدرات والمنحنيات ، والمرتفعات والمغارات .. وما أشبه .. كان يرى كل شيء بعين اغريقية لا يراه من لم يبرح بلده قط .. كان ينظر الى لسان من الارض ويقرأ فيه تاريخ الميديين أو الفرس ، او الدوريين والميتويين والاطلنطيين .. ويقول فيه ايضا شذرات من الشعر يؤلفها في ذهنه وهو في الطريق خلف المرافين في كل ما تقع عليه عينه .. وله أسلوبه في النظر الى الامام والى الخلف وفي أن يجعل الفرض من تامله مقنعا وأن يريك وجوهه مفصلة . واذا ما تحدث عن شيء او شخص او تجربه راح يدللها بلسانه .

« وكان في صوته غنة مرضوضة ، وكأنما كانت هناك صاعقة مفاجئة تحطم غير مرة ذلك الطائر الاسيوي الصداح العذب الصوت ، فتشوه العناية من عشقه ليونانه الحبيبة بأصوات الوعوعة الحادة ، في غير لباقة وفي غير اكتراث ..

« بأن شعره قد أدرك الجوهر الكريم شبها ، وأصبح أكثر تركيزا وايجازا ووميضا واستلهاما ..

« وكانت مرونته الوطنية تنسجم مع القوانين الكونية في انحنائها ومحدوديتها .. وتكف عن الخروج الى كل اتجاه .. وكانت سطوره تصور حركة العناق الدائرية .. وبدأ يسمو الى شاعر عالمي غرس ذاته قويا في تربة أمته .

« وحيثما نوجد اليوم حياة في الفن اليوناني ، فهي قائمة على هذا الوضع ـ هذه العاطفة التي تحول نفسها من القلب الى القدمين ، صانعة جذورا قوية تجعل من الجسد شجرة ذات صولة وجمال .

وهذا التحول الثقافي يتجلى أيضا بشكل مادي في كل بلد يتوسع في العمل الهادف الى الاصلاح ..

« وكان الترك في نزعتهم الجارفة الى تدمير اليونان ، قد قلبوا أرضها الى قفار وساحات قبور ، حتى اذا ما تحرر اليونانيون من ربقة الاستعباد ، راحوا يكافحون في اصلاح أرضهم . ثم ما لبث أن أصبح الماعز عدوا وطنيا ـ لا يلبث حتى يزاح كما أزيح الترك ـ فهو رمز للفقر والعجز . وأصبح النداء هو الاكثار من الشجر ـ فالشجرة تجلب الماء والعلف والماشية والنتاج .. والشجرة تأتي بالظل وبالفراغ والاغنية .. وبالشعراء والمصورين ، وأصحاب الرؤى والمشرعين ..

« واليونان اليوم قفراء ونحيلة كئيب ـ ولو انها فردوس أوروبا الفريد . وان الخيال ليقصر عن تصور ما سوف تكونه يوم تسترد نضرتها السالفة . ماذا يحدث حين تتوهج هذه البقعة المركزية بحياة جديدة ؟ ان يونان اذا عادت الى الحياة أمكن ان تغير مصير أوروبا كله .. وما كانت اليونان في حاجة الى علماء الاثار حاجتها الى غراس الاشجار .. يونان الخضراء قد تمنح الامل الى عالم يعاني اليوم الفراغ .

وبدأت أحاديثي مع سفيريادس على الشرفة المرتفعة في « أماريسيون » .. كان ساعة الاصيل يتأبط ذراعي ، ويسير بي الى الامام والى الخلف . واذا ما التقيت به في كل مرة ، أقبل علي بأجمعه ، ولف كيانه كله حول ذراعي في دفء ورقة . واذا زرته في حجرته كان يحدث الشيء نفسه ـ كان يفتح كل الابواب والنوافذ المؤدية الى قلبه . وكان عادة يضع قبعته على رأسه ، ويصحبني الى فندقي لا مجاملا بل صديقا .. ولسوف أذكر سفيريادس وجميع أصدقائي اليونانيين لهذه الصفة النادرة بين الناس » .

***

ولد الشاعر اليوناني « جورج سفيريادس » ـ المعروف باسم « سفيريس » ـ بمدينة أزمير ـ ثغر الاناضول ـ عام ١٩٠٠ ، وبرحها طفلا الى بلاده اليونانية حيث تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في أثينا وكان والده يومذاك مستشارا ومحاضرا بجامعتها .. وفي تلك المرحلة

تعرف الشاعر الى الادب الاغريقي من عهد هوميروس الى عهد سولوموس من المحدثين ، وظل اثر هذا الادب وأساطيره ومسارح احداثه راسخة في نفسه واضحة في شعره ..

ثم انتقل سفيريس الى باريس ، ومكث بها ما بين عامي ١٩١٨ ـ ١٩٢٤ وهناك درس القانون في جامعتها ، واتقن اللغة الفرنسية وأطلع على آدابها وتعرف الى عدد من كبار الادباء الفرنسيين وقرأ مؤلفاتهم ومنهم مارسيل بروست ، وبول فاليري ، وجول لافورغ .

وزار لندن عام ١٩٢٤ ثم عاد الى وطنه ليعمل في الوظائف الدبلوماسية .. وعاد ثانية الى لندن عام ١٩٣٠ ليقضي فترة أطول ، والتحق بالسلك السياسي الدبلوماسي ـ فكان قنصلا لليونان بلندن فيما بين ١٩٣١ ـ ١٩٣٤ . وهناك آكت على دراسة الادب الانكليزي الحديث ، وعرف الشاعر « توما ستيرن آليوت » من قصيدته « مارينا » فأعجب بشعره وترجم الى ايلونانية قصيدته « الارض الخراب » ثم نشرها وشرحها عام ١٩٣٦ (٢) .

وشبت الحرب العالمية الثانية ، وكانت اليونان أحد ميادينها وحاول موسوليني غزوها في أكتوبر ١٩٤٠ ، ثم احتلتها جيوش هتلر النازية في أبريل ١٩٤١ ، وانتقلت حكومتها وملكها الى مصر ثم الى جنوب افريقيا ، وخرج سفيريس معها مراسلا صحفيا في كريت ومصر وتركيا وافريقيا الجنوبية ، وسفيرا لبلاده في الشرق الاوسط .

وأقام سفيريس بالقاهرة والاسكندرية شهورا من سني الحرب ، تعرف خلالها على كبار الادباء العرب والفرنج المقيمين بمصر ، وأطلع على ما نشر من الشعر في اللغات التي يعرفها وبخاصة ما كتبه الشعراء اليونانيون وفي مقدمتهم كفافي الشاعر السكندري الكبير .. وأثرت اقامته بمصر في بعض شعره وظهر هذا الاثر على الاخص في ديوانه « مذكرات على سطح سفين » وبه قصيدة يصف بها شرع المراكب المنسابة في هدوء على صفحة النيل .. وكان يكتب الشعر احيانا في مقاهي القاهرة . وطبع هناك مؤلفه المسمى : « محاولات » كما طبع بمصر مجموعة شعرية صغيرة آنيقة قليلة العدد .. وكتب مقدمة لمؤلف للاديب اليوناني « كالفوس » عنوانه « قيثارة » ..

وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية ، واستعادت اليونان حريتها، عين سفيريس سفيرا لبلاده في آنقره ولبنان ثم في انكلترا .

وكان تقلده لسفارة بلاده بلندن فيما بين يوليه ١٩٥٧ واغسطس ١٩٦٢ ، اخر وظائفه السياسية ، اذ تركها الى المعاش ، وكان قد بلغ السادسة والستين من العمر ليستقر في وطنه ويتفرغ للادب وحده ..

ودعته هذه الاقامة الطويلة في بلاد الانكليز الى اتقان ودرس ادبهم، والتعرف الى شعرائهم المحدثين وعلى رأسهم شيخهم ت. س. اليوت.. كما دعي الى المحاضرة بجامعة كمبردج عام ١٩٦٠ .. وهناك أيضا ترجم بعض شعرائهم شيئا من شعره ـ ومنهم « ركس وارنر » الذي عاش فترة بمصر ، و « لورنس داريل » صاحب القصة المعروفة برباعية الاسكندرية ، وقد ترجم لسفيريس قصة عن أحد البابوات ، وكتب عنه قصيدة سماها « سفيريس اليوناني » ، كما ترجم هو شيئا من شعر داريل الى اليونانية ، ومن قبل بعض قصائد اليوت ..

ثم كان لطواف سفيريس بين أقطار الشرق والغرب والشمال والجنوب ، واطلاعه على اداب الكثير من الامم ، أن خرج شعره مخاطبا العالم أجمع ، ومشربا بحب السلام العالمي والتنديد بالحروب .. ويقول انه معتقد انه لا يتبع عصرا معينا ، ولو انه يعيش في العصر الحاضر ويهتم به ويتأثر ..

***

وكان سفيريس ينظم الشعر منذ فجر شبابه ، ثم نشر ديوانه الشعري الاول عام ١٩٢٤ وسماه « ستروفي » أي قرار النغم .

وظهرت له مجموعة أخرى عام ١٩٣٢ بعنوان : « الصهريج » .

وفي فترة الحرب العالمية الثانية ظهر له : « يوميات على ظهر سفين » عام ١٩٤٠ ، و « كراسة التمرينات » و « نقطة التحول » و « أسطورة التاريخ » ..

وفي عام ١٩٥٠ جمع الشاعر قصائده جميعا في ديوان واحد سماه : « آشعار » ـ ما لبث آن طبع ثلاث مرات ، وترجم الى الايطالية، والالمانية ، والسويدية ، غير ما ترجم من شعره الى الانكليزية والفرنسية من قبل ـ وكان ممن ترجموا بعض شعره : لورنس داريل ، وركس وارنر ، وهنري ميلر ، و ت.س. آليوت ، وروبير ليفيسك .. وغيرهم ..

وكان هنري ميلر قد قرأ شعره المترجم الى الانكليزية ثم نشر عنه كلمته السابقة في كتابه « تمثال ماروسي » عام ١٩٤١ . ولكن شهرة سفيريس بدأت تذيع منذ عام ١٩٥٠ عندما جمع قصائده في ديوانه « اشعار » وترجم الى تلك اللغات ، واشتهرت قصيدته « ملك أشور » .

ونال عام ١٩٦٠ جائزة « وليم فويل » الانكليزية على مجموعة قصائده ، وكانت أول مرة تمنح لشاعر أجنبي ..

وفي عام ١٩٦٣ كان سفيريس بين المرشحين للفوز بجائزة نوبل العالمية للادب مع عدد من شعراء وكتاب العالم يقرب من الثمانين اديبا ، وفاز بها وسلم جائزتها المالية (١٨٢٨٠ جنيها استرلينيا) ووسامها الذهبي في الحفل التقليدي السنوي الذي يقام بعاصمة السويد (استوكهولم) في العاشر من ديسمبر ، وهو يوم وفاة صاحب الجائزة وواضع شروطها . آلفرد نوبل والمتوفي عام ١٨٩٦ ، والموصي بمنح الجوائز السنوية الخمس ـ في الادب ، والسلام ، والطبيعيات ، والكيمياء ، والطب أو الفسيولوجيا ..

وكان الشاعر سفيريس أول يوناني ينال جائزة نوبل هذه .. وقد فاز بها ـ في الادب ـ منذ ابتدائها عام ١٩٠١ نحو ستين أديبا من مختلف الاقطار .. وكان هناك من الادباء اليونانيين من كان يستحقها في سنوات خلت ، مثل كزانزاكيس المتوفي عام ١٩٦٠ ـ صاحب « الاوديسية الجديدة » و « زوربا اليوناني » و « الحرية والموت » و « المسيح يعاد صلبه » ـ وغيرها من الشعر والقصص .. ومثل كفافي الشاعر السكندري المتوفي عام ١٩٣٣ ، وجان موريأس الذي نظم بالفرنسية .. وسكيليانوس ، وقسطنطين بالاماس المتوفي عام ١٩٤٣ .. وقد مات أكثرهم قبل أن تدركهم هذه الجائزة .. وكان من المشاع ان نيقوس كزانزاكيس وسكيليانوس ـ بخاصة ـ لم يمنحا جائزة نوبل لان حكومتهما اليونانية كانت منذ بضع سنوات تعارض في ترشيحهما بحجة ميولهما اليسارية ـ الى ان كزانزاكيس كان قد أغضب بعض رجال الدين في بلاده ممن رأوا آنه في قصصه قد خرج عن النصوص في تصويره حياة السيد المسيح ، ولو انه أعلن غير مرة في دفاعه انه قصاص فنان لا مؤرخ ..

وعندما أفردت الصحافة العالمية منذ أواخر عام ١٩٦٣ ، المقالات عن سفيريس وشعره ـ لمناسبة فوزه بالجائزة ـ أشار بعض كتابها الى هذه النقطة ومن ذلك ما جاء في مقالة الكاتب جاك لاكاربير اليوناني الاصل الفرنسي الجنسية ، بجريدة « لوموند » الباريسية ، اذ قال : « ان الجائزة التي نالها جورج سفيريس تعوض الاثر السيىء الذي تركه المحكمون في هذه الجائزة حينما امتنعوا عن منحها لكزنزاكيس وسكيليانوس .. » .

وكذلك كتب الصحفي الناقد يالوراكي ـ رئيس تحرير جريدة « تشيدروموس » السكندرية عامذاك يقول : « ان الناقد اليوناني مالانوس في حديثه عن سفيريس يرى ان الحكومة اليونانية كانت تعارض في منح كزانزاكيس جائزة نوبل ، وهو الاديب المعروف الذي كان يقرأه الجميع ، وهذا ما قد يقلل من روعة فوز سفيريس بهذه الجائزة، غير ان هذا الفوز كان خطوة اولى حسنة طفا بها الادب اليوناني على سطح الماء » (٣) .

ومع ان عددا من النقاد بل وسفيريس نفسه قد صرحوا بأن الاكاديمية السويدية باختيارها شاعرا يونانيا لجائزة نوبل انما ترغب ولا شك في أن تعبر عن تقديرها للعقل اليوناني الحديث ، ولربط الشاعر بين حضارة بلاده العريقة والركب الانساني العالمي ، ثم لفضل تلك الحضارة الاغريقية القديمة على الفكر الاوروبي عامة ، فان معظم

النقاد أجمعوا على تقدير شاعرية سفيريس ، وعلى روعة شعره الرمزي « الحديث » ، وكما نصت الاكاديمية السويدية التي رشحته : « أن سفيريس نال الجائزة عن شعره « الليريكي » الوجداني الغنائي المستلهم من عاطفة عميقة تشعر بالفكر اليوناني للدنيا الاغريقية ، وان عمله يلخص التاريخ اليوناني في انتصاراته ومآسيه وبطولاته .. » .

***

وعندما أعلن فوز الشاعر المعتكف « سفيريس » بالجائزة ، هرع الصحافيون زرافات ووحدانا الى داره الصغيرة البيضاء ، في شارع « أغرا » بأثينا ـ ذلك الطريق الريفي غير المبلط ـ حتى ظن أهل الحي أن هناك حفلا يقام في تلك الدار الهادئة .. وقابلهم الشاعر في بساطه وترحيب ، وقابلوه بوابل من الاسئلة الصحافية كان يجيب عليها بأسلوبه الدبلوماسي المتحفظ ـ ومن ذلك ما نشر بجريدتي « أيفننج اكسبرس » الانكليزية ، و « تشيدروموس » اليونانية السكندرية في ذلك الحين :

س ـ هل كنت تتوقع الفوز بجائزة نوبل ؟

ج ـ لا .. لقد كان هناك كثيرون من المرشحين ، وكنت قد قرأت في جريدة « فيغارو » ان هناك نحو ثمانين أديبا منهم : جان بول سارتر ، وغراهام غرين ، وروبرت غراي ، وبابلو نيرودا وغيرهم ..

س ـ وهل منحتك الاكاديمية السويدية هذه الجائزة على مؤلف معين ؟

ج ـ بل على أعمالي بعامة ، كما فهمت من السفير السويدي الذي أطلعني على الخبر .

س ـ هل تظن انه كان ثمة دخل للسياسة في فوزك ، فان سارتر ونيرودا مثلا من اليساريين ؟

ج ـ لست عضوا في الاكاديمية السويدية . ولهذا لا أستطيع الادلاء برأي .

س ـ لعل هذه الاكاديمية التي منحتك الجائزة توقعت ما سوف يحدث من اثر في بلادك بعد أن حرمتها كزانزاكيس وسكيليانوس اليساريين ، وكانت الحكومة اليونانية تضطهدهما ؟

ج ـ مرة أخرى أقول لا علم لي بذلك .

س ـ ما رأيك في الشاعر نيرودا ؟

ج ـ لم أقرأ شعره في لغته الاصلية التي لا أعرفها ، وقد قرأته مترجما ، ولكي يفهم الانسان شاعرا ويقدره ، عليه أن يقرأ شعره في لغته .

س ـ وهل كان أعضاء لجنة الجائزة يعرفون اللغة اليونانية ؟

ج ـ لعلهم قرأوا الترجمة الانكليزية والفرنسية لشعري ولعل بينهم من يعرف اليونانية .

س ـ لو لم يكن نيرودا وسارتر يساريين ، هل كانا ينالان الجائزة ؟

ج ـ لا أستطيع الاجابة عن « اذا » و « لو » !

س ـ وما رأيك في شعرك ، أنت ؟

ج ـ أنا أنشر شعري للقراء ـ أصحاب الرأي ـ وما لم أنشره بعد لا أستطيع أن أبدي الرأي فيما كنت قادرا على جعله كاملا فينشر .

س ـ أي عمل لك تحبه أكثر ؟

ج ـ ليس لي عمل نشرته لا أحبه ..

ج ـ هل تعتقد أن الشعر اليوناني الحديث سيبقى ويخلد ؟

ج ـ لا أعلم ، ولكن الانسانية تحتاج ايضا الى الفكر اليوناني والشعر اليوناني لتقلل من شأن « الصاروخ » الالي ..

س ـ وما رأيك في الشعراء اليونانيين المحدثين ، هل هناك قوة حية في شعرهم ؟

ج ـ أعتقد ذلك . ولكني لا أستطيع أن أذكر شعرا خاصا بالذات، وقد عشت طويلا خارج اليونان .

س ـ لقد عشت طويلا في الخارج ، فكيف رأيت اليونان عندما عدت اليها ؟

ج ـ تغيرت كثيرا الى الحسن والسيء والصعب .. ولكني مؤمن بنشاط الشعب .

س ـ وكيف وجدت الحياة الفكرية في اليونان ؟

ج ـ كنت أريدها أحسن من ذلك .

س ـ ما الذي لم يعجبك فيها ؟

ج ـ لست هنا في موقف الناقد .

س ـ اذن حدثنا عن شعرك وبمن تأثرت من الشعراء ؟

ج ـ أعتقد ان كل عمل يحتاج الى معلم . وما من أحد يقول انه لم يتعلم من غيره .. والتعبير الشعري مؤلف من اشياء كثيرة ، وهو وان كان مصدره الحس الباطن الا أن هناك من المؤثرات الخارجية ما يكمله ـ أشياء تؤثر فينا بلا وعي منا ولا نشعر بها في الظاهر .. وأقول عن نفسي ان هناك شعراء قرأت شعرهم في اهتمام وعناية ولكنهم لم يؤثروا في كثيرا .. ويمكن لغيري ممن يقرأ شعري ان ينقده خيرا مني .. ولكني أقول ايضا انني تأثرت بشعراء منذ هوميروس الى سولوموس ، وبكثير غيرهم لا أستطيع حصره ، وشعراء غير يونانيين . فقد جودت الفرنسية منذ الصبا وقضيت بباريس زمنا وعرفت عدد من كبار أدبائها ومنهم مارسل بروست وفاليري وغيرهما.. ولما كنت في لندن عام ١٩٢٤ ثم في ١٩٣٠ عرفت ت. س. اليوت بعد اطلاعي على قصيدته « مارينا » .

س ـ قص علينا شيئا عن حياتك .

ج ـ ماذا أقول عن حياتي ، وأنا من يعتقد انه لم يعمل شيئا يستحق الذكر ، ولم أعمل ما أود عمله بعد ؟ ولكم وددت لو يمهلني الاجل كيما أحقق ما أرجو اداءه . وقد قرأت مرة عن مصور صيني قال : « لما بلغت السبعين عرفت كيف أصور ، وعندما بلغت الثمانين شعرت بأني تقدمت في فن التصوير ولما أشرفت على المئة صرت مصورا بارعا ! » .

***

وشعر سفيريس من وجهة عامة ذو روح اغريقية قديمة وسحنة أوروبية حديثة .. وبعبارة الاكاديمية السويدية ـ السالفة الذكر ـ انه نال الجائزة عن شعره « الليريكي » ـ الوجداني ـ المستلهم من عاطفة عميقة تشعر بالفكر اليوناني للعالم الاغريقي .. وفي رأي النقاد انه ربيب الادب الاغريقي القديم بأساطيره وبطولاته ومآسيه ، بقدر اندماجه في الحاضر ومؤثراته ـ كما في قوله :

« لماذا نحارب ؟ لماذا نقاتل في الحياة ؟
أمن أجل «هيلين» طرواده ؟
أمن أجل قميص تافه ؟
وهيلين تجيب انها لم تكن سببا للحرب !
وانها أبدا لم تهرب مع « باريس » !! »

ويردد بعض النقاد ان سفيريس متأثر بالشاعر الحديث توماس اليوت صاحب القصائد الرمزية والكتب النقدية كما تأثره الكثيرون من شعراء العصر في الشرق والغرب ..

وسفيريس يقر باعجابه وحبه لاليوت ، وترجم بعض شعره الى اليونانية ، ولكنه يقول انه يحب اليوت كما يحب هوميروس وغيره ، وانه يقرأ مختلف الشعر ..

والحق ان سفيريس لا يقلد شاعرا بالذات .. ولا يحصر شعره في دائرة واحدة .. ويحلق دائما في فضاء العصور قديمها وحديثها ..

واذا ذهبنا مع القائلين بانه لا يوجد ما يسمى بالشعر القديم والشعر الجديد ، فليس ثمة شعور قديم وشعور جديد ، وقلب بشري قديم وآخر حديث ـ رأينا ان الخلاف يدور دائما حول الشكل والصياغة .. وسفيريس يميل الى الصياغة الحديثة ، والتعبير المبتكر ، والصورة الجديدة .. كما يميل الى الرمزية البعيدة من غموض المتاهات ، وشطحات المبهمات .. محاولا التغلغل في مجاهل النفس وأعماق الحياة .. مستعينا بابطال الاساطير على نسج الرمزيات وتصوير الصراع بين الانسان والمجهول .. جامعا بين

الاتباعية والابتداعية ، بين الكلاسيكية والرومانسية ، وبين الهـــدوء والصخب ، والمثالية والواقعية ..

ومع ذلك فان أليوت ـ الذي لم يزل شعره موضع الجـــدل والنقاش ـ كثير التناقض والتحول من رأي الى رأي ، ومن عقيـــدة الى عقيدة ، أشبه بالطائر الحائر المتخبط في فضاء مليء بالغبـــار ودخان البارود ـ غبار الارض الخراب ودخان الحضارة الالية ومدمراتها ـ يبحث عن المقر الهادىء النظيف وواحة الروح المطمئنة ..

وسفيريس مثله شهيد الحروب ، ومآسي العصر الحديث .. ولكنه مع ذلك يحلم بالحق والعدل ، والجمال والسلام ، وهو فنان قبل كـل شيء ـ مثل أليوت ـ وقبل أن يكون مشرعا او مصلحا اجتماعيـا .. وهو منله فنان عميق الثقافة لا يستطيع الخروج الى السطح الساذج المطـــروق ..

ومن قصائده الرمزية في ديوانه : « كراسة التمرينات » ، هذه القصيدة بعنوان « شاب » (مع ما في ترجمة مثل هذا الشعر مـــن اجتراء على الاصل ، الثري باللفظ ، المنطوي على شحنات من الخيال المثير والجمال الموحي بالتأمل) :

« طوفت طيلة عام مع الربان « أوديسيوس » ..
وكنت فتى ساذجا طيبا ..
واذا ما صفا الجو ، سكنت الى « عروس البحر » ..
ورحت أتغنى بشفتيها القرمزيتين ـ وأتطلع الى الاسماك ..
واذا ما عصف الجو وعج عجاجه :
اختبأت في جوف المركب ، وبجانبي كلب السفينة يدفئني ..
ومضى العام ، وشاهدت ذات صباح مآذن كثيرة ..
وقال لي الملاح :
هذه هي « أيا صوفيا » ـ ولسوف تصحبني في المساء الى النساء ـ
وفي ذاك الطريق عرفت النساء اللابسات الجوارب فحسب ..
أولئك النساء اللاتي نختارهن نحن ..
وكانت بلدة غريبة ..
ـ وحديقة ذات قلبين :
ـ بئر .. ومنجل ..
وحول الحديقة سور يعلوه زجاج مكسور ..
وفي داخلها جدول ماء يرنم غنوة « مع تيار حياتي » ..
ولاول مرة رأيت قلبا يرشقه السهم المعروف ..
وكان هذا القلب مرسوما بالفحم على الجدار ..
ثم شاهدت ورق الكرمة أصفر اللون ..
ومبعثرا على الارض ..
وملتصقا بالطين الرث ..
وخطوت لاعود الى سفينتي ..
ولكن الملاح أمسك بياقتي ..
وطرحني في تلك البئر ..
في الماء الدافىء .. والحياة الناعمة ..
وقالت لي الفتاة وهي تعبث بثديها الايمن ..
ـ أنا من رودس ـ وكنت في الثالثة عشرة يوم خطبوني الى رجل..
.. من اجل مئة قرش ..
وراح الجدول يرنم : « في مجرى حياتي » ..
وذكرت البلاص المكسور في الاصيل الرخي ..
ورأيت : انها كذلك ستنكسر ـ ولكن كيف ؟
وفقط قلت لها : « كوني على حذر ! »
ـ « انك تنوين كسره وهو حياتك » ..
وفي الليل كنت في السفينـــة ولم استطع الاقتراب مـــن « عروس البحر » ..
ـ اذ عراني الخجل !.. »

***

ومن قصيدة بديوانه : « ستروفي » ـ أو قرار النغم ـ (١٩٣١)
« على الشاطىء الخفي ـ الابيض كالحمامة ..
كنا عطاشا ساعة الظهر ..
ولكن كان الماء عكرا ..
وعلى الرمل الاشقر كتبنا اسمها ..
وهب النسيم رخيا ومحا الكتابة ..
ـ بأية رغبة .. وبأي انفعال ـ وبالقلب والانفاس ..
غيرنا مجرى حياتنا ـ وخطأ اتخذنا حياتنا .. » .

الاسكندرية

نقولا يوسف

---

(١) قام هنري ميلر (المولود في نيويورك عام ١٨٩١) بجـولة في انحاء اوروبا وغيرها منذ ١٩٣٠ ختمها برحلته الى اليونان ١٩٤١ وعاد الى كاليفورنيا عام ١٩٤٢ ليتفرغ الى كتابة القصص والرحـلات والمذكرات . ومن مؤلفاته : « مدار السرطان » و « مدار الجـدي » و « دنيا الجنس » و « الانسة كلود » و « ماكس » .. الخ .. وطبـع كتابه « تمثال او مارد ماروسي » عام ١٩٤١ وأعيد طبعه (بنجوين) ١٩٥٠ و ١٩٦٣ ـ وبها كلمته عن سفيريس ص ٤٩ ـ ٥١ .

(٢) كان الشاعر توماس ستيرن اليوت (المولود في سان لويس باميركا عام ١٨٨٨) قد نزح الى انكلترا عام ١٩١٥ واتخذها وطنـــا . وظهرت أولى مجموعاته الشعرية عام ١٩١٧ ، ومجموعة مقـالاته الباكرة ١٩٢٠ ، وقصيدة « الارض والخراب » ١٩٢٢ ، ثم طبع مجموعة اكبر ، من شعره ، عام ١٩٣٦ ومن نثره ١٩٥١ ، وكتابه « الشعر والشعراء » ١٩٥٧ . ونال جائزة نوبل عام ١٩٤٨ ، وترجمت مؤلفاته الى شتـــى اللغات وتأثر بشعره الكثيرون من الشعراء .

(٣) كان من بين كتاب المقالات الكثيرة التي نشرت عن سفيريس : ادموند كيلي في مجلة « الادب المقارن » ١٩٥٦ ، وجاك لاكاريير بجريدة لوموند » الباريسية ١٩٦٣ ، والناقد اليـــوناني مالانوس ، ويالورال بجريدة « تشليدروموس » السكندرية في ٢٢ ـ ١٠ و ٣ ـ ١١ ١٩٦٣ ، وترجم الدكتور نعيم عطية عشر قصائد من سفيريس (مجلة الكتاب ١ ـ ١ ـ ١٩٦٤) وترجم علي نور الكثير من شعره .

صدر حديثا

للشاعر عبد الوهاب البياتي

طبعة جديدة لواحد مـن اهم
دواوين الشعر العربي الحديث

منشورات دار الاداب ٢٠٠ ق.ل